

روح المعاني

ترتيب الإلقاء على التمني مع ما في السباق والسياق مما يدل على التسلية عن ذلك يجدي نفعا في هذا الباب كما لا يخفى على ذوي الألباب .

ويرد على قوله : إنه بعد حصول التأديب بما ذكر كان يرسل من بين يديه ومن خلفه رصد يحفظونه من إلقاء الشيطان أنه لم يدل دليل على تخصيص الإرسال بما بعد ذلك بل الظاهر أن ذلك كان في جميع الأوقات فقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى : إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث إليه الملك بالوحي بعث ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه أن يتشبه الشيطان بالملك وقد ذكروا أن كان في ذلك للإستمرار .

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال : ما جاء جبريل عليه السلام بالقرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا ومعه أربعة من الملائكة حفظة وهذا صريح في ذلك ولا شك أن هذا الإلقاء عند من يقول به كان عند نزول الوحي فقد أخرج ابن جرير وابن مردويه عن طريق العوفي عن ابن عباس أن النبي A بينما هو يصلي إذ نزلت عليه قصة آلهة العرب فجعل يتلوها فسمعه المشركون فقالوا : إنا نسمعه يذكر آلهتنا بخير فدنوا منه فبينما هو يتلوها وهو يقول أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان تلك الغرائق العلا منها الشفاعة ترتجي فعلى هذا ونحوه يكون الرصد موجودا مع عدم ترتب أثره عليه والقول بأن جبريل عليه السلام ومن معه تنحوا عنه حتى ألقى الشيطان ما ألقى بناء على ما أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أنه قال في آية الرصد : كان النبي A قبل أن يلقى الشيطان في أمنيته يدنون منه فلما ألقى الشيطان في أمنيته أمرهم أن يتنحوا عنه قليلا فإن المراد من قوله : فيه فلما ألقى فلما أراد أن يلقى في حيز المنع وكذا صفة هذا الخبر ثم أية فائدة في إنزال الرصد إذا لم يحصل به الحفظ بل كيف يسمى رصدا ومما ذكر في هذا الاعتراض يعلم ما في الجواب الثاني من الاعتراض وهو ظاهر وقد يقال : إن إعجاز القرآن معلوم له A ضرورة كما ذهب إليه أبو الحسن الأشعري بل قال القاضي : إن كل بليغ بمذاهب العرب وغرائب الصنعة يعلم ضرورة إعجازه وذكر أن الإعجاز يتعلق بسورة أو قدرها من الكلام بحيث يتبين فيه تفاضل قوى البلاغة فإذا كانت أية بقدر حروف سورة وإن كانت كسورة الكوثر فهو معجز وعلى هذا يمتنع أن يأتي الجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا بمقدار أقصر سورة منه تشبهه في البلاغة ومتى أتى أحد بما يزعم فيه ذلك لم تنفق سوقه عند رسول الله A وكذا عند كل بليغ محيط بما تقدم ولم يخف على الرسول E ولا على ذلك البليغ عدم إعجازه فلا يشتبه عنده بالقرآن أصلا

ولا شك أن ما ألقى الشيطان على ما في الروايات حروفه بقدر سورة الكوثر بل أزيد إن اعتبر الحرف المشدد بحرفين وهو وأنهن لهن الغرائيق العلا وأن شفاعتهن لهن التي ترتجي الوارد فيما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب .

وجاء في رواية ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم بسند قال السيوطي : هو صحيح عن أبي العالية أنه ألقى تلك الغرائيق العلا وشفاعتهم ترتجي ترتضي ومثلهن لا ينسى وحروفه أزيد من حروفها إذا لم يعتبر الحرف المشدد في شيء منهما رفين أما إذا اعتبر فحروفها أزيد بواحد فإن كان ما ذكر مما يتعلق به الإعجاز